مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies

حوارات مترجمة

النقد التقاربي

حوار ستيف بولسون مع جاياتري تشاكرافورتي سبيفاك

ترجمة: محمد صلاح

الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز

حوارات مترجمة

النقد التقاربي[1]

حوار ستيف بولسون[2] مع جاياتري تشاكرافورتي سبيفاك

ترجمة: محمد صلاح

يبدو أنَّ أيام التفكيك المندفعة هذه الأيام هي بقايا من عصرٍ مضى، مرَّت كما مر الشَّعر الكثيف، والسراويل الفضفاضة. لكن ما زال قلبه – أي: كشف العلاقة بين النص والمعنى، ونقد التحيزات الخفية في التقليد المعرفي الغربي – ينبض بقوة في الأكاديمية الحديثة، التي لا يمكنها نسيان مدى إثارة [هذه] الحركة في الماضي. فقد أعادت مطابع جامعة جون هوبكنز إطلاق نقاش عام حول أسس التفكيك مع إصدارها الجديد والمراجَع والمثير للجدل لكتاب جاك دريدا «**في علم الكتابة**» بمناسبة مرور (٤٠ عامًا) على إصداره للمرة الأولى، ويعد «**في علم الكتابة**» أحد النصوص التأسيسية للتفكيك، ونُشر الكتاب بترجمة مُحدَّثة لمترجمته الأصلية للإنجليزية جاياتري تشاكرافورتي سبيفاك.

تُعدُّ سبيفاك اليوم نجمة أكاديمية، وباحثة غزيرة الإنتاج، ومُشاركة في تأسيس معهد الأدب المقارن والمجتمع في جامعة كولومبيا. كانت سبيفاك عندما بدأت في ترجمة أطروحة دريدا أكاديمية مغمورة في منتصف العشرينيات من عمرها، وكانت حسب قولها «شابة آسيوية صغيرة السن» تحاول استكشاف عالم الأكاديميا الأمريكية الغريب. كانت من المستبعد أن تكون مترجمة، حيث إنَّها لم تدرس الفلسفة بشكل رسمي، ولا كانت متحدثة أصلية بالإنجليزية أو الفرنسية، ولذلك كان مشروعًا جريئًا – ومنافيًا للعقل – أن تقوم بترجمة نص معقد في النظرية العليا. لم تقم سبيفاك بترجمة الكتاب فقط، بل أسبقته بتصدير طويل قدَّمت فيه دريدا لجيل جديد من دارسي الأدب.

---

[1] نشر هذا الحوار على موقع: **Los Angeles Review of Books** في ٢٦ يوليو ٢٠١٦م، ورابطه:

https://lareviewofbooks.org/article/critical-intimacy-interview-gayatri-chakravorty-spivak /

[2] ستيف بولسون: المنتج التنفيذي لبرنامج «**نحو أفضل معارفنا**» على إذاعة ويسكونسن العامة. وهو مؤلف «**إدين والذرات: حوار عن الدين والعلم**».

في العقود التالية، شقت سبيفاك لنفسها العديد من مسارات العمل المتمايزة في الظاهر. فقد أصبحت باحثة ماركسية نسوية رائدة، ثم ساعدت في انطلاق الدراسات ما بعد الكولونيالية بمقالتها المؤثرة «**هل يستطيع التابع أن يتكلم؟**»؛ إلَّا أنَّ سبيفاك ليست مثقفة في برج عاجي، فقد قامت أيضًا بتأسيس [عدة] مدارس ابتدائية في بلدها الأم، الهند، لتعليم الطلاب الأميين، ودرّست فيها لعقود. وبطريقة ما، استطاعت أن تدرّس النظرية النقدية لطلاب الدراسات العليا في أحد أبرز الجامعات النخبوية في الولايات المتحدة، في نفس الوقت الذي درّست فيه التمكين الديمقراطي للأطفال القرويين في البنغال الغربية. ونادرًا ما يجتمع التنظير والتطبيق في شخص واحد.

والآن في منتصف السبعينيات من عمرها، تحافظ سبيفاك على جدول مزدحم باعتبارها مثقفةً تجوب العالم. أجريت معها هذا الحوار بعد أن سافرت إلى لاجوس وقبل أن تلقي بعض الخطابات في لندن وباريس. وقد طوّفنا على العديد من الموضوعات، من صداقتها مع دريدا وقصة عائلتها المأساوية، التي أشعلت شغفها بفكرة التابع، إلى مسئولية المثقفين وأزمة العلوم الإنسانية.

ستيف بولسون: لقد قمتِ لتوك بإصدار طبعة جديدة لكتاب دريدا في علم الكتابة بمناسبة مرور أربعين عامًا على صدوره لأول مرة. لماذا نحتاج [اليوم] نسخة مُراجَعة من هذا الكتاب؟

جياتري تشاكرافورتي سبيفاك: عندما ترجمت الكتاب لأول مرة، كنت لا أعرف من هو دريدا ولا أي شيء عن فكره. ولذلك، قمتُ بقصارى جهدي لترجمته والتقديم له، وبالفعل استطعت من خلال التقديم أن أفهم. ولكن الآن، بعد عمر من العمل مع دريدا وبواسطته، يمكنني القول إنَّ هناك شيئًا أكثر يجب تقديمه عن هذا المفكر غير العادي، ولذلك قمت بإضافة خاتمة للكتاب. ويعد هذا نوعًا من التقدير لحياة طويلة أكثر من كونه تعرضًا لنص جديد.

هل تغير فهمك لكتاب دريدا عبر العقود الأربعة التي مرت منذ ترجمته للمرة الأولى؟

[نعم]، لقد تغير بالفعل. عندما بدأت، لم أكن مدركة كيف كان الكتاب ناقدًا لفكرة «المركزية الأوربية»؛ لأنَّ هذه الكلمة لم تكن شائعة بشكل كبير في (١٩٦٧ م). لقد كان دريدا يهوديًّا جزائريًّا، وُلد قبل الحرب العالمية الثانية، وقام بمواجهة الفلسفة الغربية من الداخل، وكان رجلًا نابغًا ينظر إلى تمركزها حول أوروبا. وأظن أنَّني لم أدرك هذا الجانب مثلما أدركه الآن. وأدركت كذلك الخط الناظم الذي يسري في خلاله عن [أنَّه لا يتحدث فقط عن] كيف يجب أن نقرأ، بل عن كيف يجب أن نعيش، والذي لم يكن واضحًا لي ساعتها. وأيضًا أعرف الآن أكثر عن هيجل، مما سمح لي بالإشارة إلى بعض نقاط الالتقاء [بينهما].

إذن فأنت ترين هذا الكتاب أساسًا باعتباره نقدًا للفلسفة الغربية؟

هذا ما يعنيه التفكيك نفسه، أليس كذلك؟ فهو ليس مجرد هدم، بل بناء أيضًا. إنَّه نقد تقاربي، وليس نقدًا افتراقيًا. فأنت في الحقيقة تتحدث من الداخل. هذا هو التفكيك. وقد قال أستاذي بول دومان مرةً لناقد عظيم آخر، هو فريدريك جيمسون، «يا فريد، لا يمكنك تفكيك إلَّا ما تحب»؛ لأنَّك تنقد من الداخل، بحب حقيقي. وكأنك تقوم بلفّها. إنه – أي: التفكيك – من هذا النوع من النقد.

ما الذي كان يحاول دريدا أن يقوم بتفكيكه؟ كيف كان يحاول أن يؤول الفلسفة الغربية في ضوء جديد؟

لقد كان تركيزها – الفلسفة الغربية – على أن تهيمن على غيرها لقرون دون تغيير. فتم إقصاء مجموعات كاملة بسبب وجود نوع معين من الخطاب المهيمن تم تأسيسه. وقال [دريدا] أيضًا شيئًا قويًّا عن الشفهية الأفريقية: فهم بإمكانهم أن يتذكروا لسبعة أجيال، ونحن فقدنا هذه المقدرة. فهناك، تحدث (الكتابة) على المادة النفسية المسماة بـ (الذاكرة). يربط دريدا هذا الأمر بفرويد. ولذلك، كان يقول: انظر إلى الحقيقة بحرص. إنها مُرمّزة كي يستطيع الآخرون، حتى وإن لم يكونوا حاضرين، أن يفهموا ما نقول. وقد نظر هو في كيف أن هذا الأمر مدفون في التقاليد الفلسفية.

لقد بدأتِ العمل على ترجمة (في علم الكتابة) في أواخر الستينيات، وكنتِ باحثة غير معروفة، وكذلك كان دريدا مغمورًا بشكل كبير في الولايات المتحدة. وكان الكتاب نظريًا بشكل مكثف، وصعب جدًّا وما زالت قراءته تمثل تحديًا إلى الآن. فلماذا قمتِ بهذه المحاولة المتهورة؟

حسنًا. لم أكن أعلم كليةً من هو دريدا؛ فقد كنت في سن الخامسة والعشرين، وكنت مساعدةً لمدرس في جامعة إيوا في (١٩٦٧ م)، وكنت أحاول أن أؤهل نفسي معرفيًا؛ لذلك، كنت أطلب الكتب التي تبدو غير مشهورة، وهكذا طلبت الكتاب.

إذن قرأتيه بالفرنسية ثم فكرتِ في ضرورة أن تكون هناك ترجمة إنجليزية؟

لا، لا! لقد استطعت قراءته واعتقدت بأنه كتاب غير عادي. وكان هذا قبل وجود الإنترنت، ولم يخبرني أحد شيئًا عن دريدا. فأستاذي لم يقابل دريدا عندما غادرت كورنل، ولذلك لم أكن أعرفه فعلًا. «حسنًا، أنا امرأة أجنبية صغيرة وذكية، وها هو مؤلف مغمور، ولن يقبل أحد أن يعطني عقدًا في مقابل الكتابة عنه، فلماذا لا أترجمه نفسه؟»، وسمعت في أحد الحفلات أن

مطبعة جامعة ماساشوستس تقوم بنشر الترجمات، فكتبت إليهم خطابَ طلبٍ ساذج في أواخر (١٩٦٧ م)، وأوائل (١٩٦٨م). أخبروني بعدها أن طلبي كان شجاعًا جدًّا وطيبًا، وأنهم فكروا في أن يعطوني فرصة.

يبدو الأمر مضحكًا فعلًا، لكن هذا ما حدث.

بدايات متواضعة جدًّا لكتاب أصبح من الكلاسيكيات.

أتعلم؟ لقد تفاجئت. يجب عليك أن تضع نفسك مكاني، فلا لغتي الأصلية إنجليزية ولا فرنسية، وغادرت الهند عام (١٩٦١ م) فقط، وكانت مقدمتي للكتاب متواضعة جدًّا؛ لأنَّني لم أكن ساعتها قد تحصلت على أي مقرر في الفلسفة.

وهي مقدمة طويلة جدًّا، فمقدمتك لكتاب دريدا تعد كتابًا في حد ذاتها.

وهذا ما كتبته في العقد؛ لأنَّني أردت أن أكتب كتابًا عنه. فقد كتبت أنني لن أقوم بالترجمة إن لم يُسمح لي بأن أكتب مقدمة في حجم دراسة. لقد كنت في منتصف العشرينيات من عمري عندما كتبت هذا الخطاب، والآن أشعر بالخجل والإحراج.

هل تواصلتِ مع دريدا بشكل مكثف خلال عملك على الترجمة؟

لا، لم أكن أعرفه مطلقًا. فقد قابلته فقط عام (١٩٧١ م)، ولم أعرفه حتى جاء إليَّ وعرّفني بنفسه وقال بالفرنسية «أنا اسمي جاك دريدا»، (Je m'appelle Jacques Derrida). كدت أموت لحظتها!

ولكن أفترض أنكِ تعرفتِ إليه بشكل أفضل بعد ذلك.

نعم، لقد أصبحنا أصدقاء. فنحن حلفاء. كما ترى، أحد الأشياء التي فهمها أكثر مما فهمتها أنا هو معنى أن تقوم تلك البنت الآسيوية التي لا تعرف الفرنسية جيدًا، بإطلاق الكتاب إلى العالم بطريقتها، وبصورة بعيدة تمامًا عن زمرة الفلسفة العليا الأوروبية. كنا نخرج أنا وهو سويًا لنأكل، وكان رجلًا أسمرًا، جزائري من يهود السفارديم، وكان الناس يظنونه هنديًا، وأنا هندية وتقيدي بثقافتي قوي وكنت أحيانًا أرتدي الساري. ولذلك، كان الأمر مضحكًا، فكان يقول: «نعم، أنا هندي». لقد فهم جمال موقف هذه الشابة الصغيرة التي لم تكن باحثة دكتوراه فرنسية ولا متحدثة أصلية بالفرنسية أو الإنجليزية، وتقوم بتقديم نصه ليس لأنها تحمل له تقديرًا، بل لم تكن حتى تعرف من هو. لقد كانت تقدم نصه للعالم وهم يلتقطونه منها. كان هذا الأمر جاذبًا له بشدة.

لقد وُلدتِ في كلكتا قبل سنوات قليلة من تقسيم الهند. هل كانت نشأتك بين عائلة من المثقفين؟

نعم، لقد تزوجَت أمي في الرابعة عشر من عمرها، وأنجبت أخي في سن الخامسة عشر. وولد أبي في قرية في سفوح الهيمالايا والتي تعرف اليوم ببنجلاديش، وهو مجتمع لا يرتدي فيه الأطفال شيئًا حتى سن السادسة أو السابعة. فكانوا فقط يرتدون حلقة معدنية حول وسطهم. وكانوا يرتدون الدوتي عندما يذهبون إلى المدرسة، وفي وقت الشتاء كانوا يضعون ثوبًا على أكتافهم ويتجمعون حول النار. ومع ذلك، كان هذين الشخصين مثقفين، وعاشا حياة المثقفين، وربوا أولادهما لأجل حياة الفكر. كان الأب نسوي بدائي (Proto-feminist)، وكانت الأم نسوية. لقد كانت نشأة غير عادية، وأنا مدينة بكل شيء تقريبًا لهما.

هل كان لانقسام الهند إلى باكستان والهند تأثيرًا على عائلتك؟

كما تعلم، لقد ظننا كذلك أنه استقلال؛ استقلال اتسم بفزع التقسيم. لذلك، كان التقسيم هو الثمن الذي وجب علينا دفعه. لقد أثّر الانقسام على أقاربي أكثر مما أثر على أسرتي بشكل مباشر، فقد كان أبي قد هرب ساعتها من البنغال الشرقية، والتي تعرف اليوم ببنجلادش. فعندما أبلى بلاءً حسنًا في امتحانات الثانوية، قال له والده: «إذن، يمكنك الآن أن تُكمل دراساتك في مركز المقاطعة»، و[لكن] كان أبي طموحًا، ولذلك هرب، بلا تذاكر، إلى كلكتا في (١٩١٧ م). وولدت أنا في كلكتا. لكن ما تأثرت به حياتُنا نتيجة التقسيم كان هو الاضطرابات الفظيعة التي حدثت نتيجة اغتيالات كلكتا عام (١٩٤٦ م)، والمجاعة المدبّرة عام (١٩٤٢ م) وما بعده. أثّرت هذه الأشياء علينا فعلًا. وبمجرد بدء نزوح اللاجئين، كانت أمي، والتي قد أصبحت ساعتها ناشطة اجتماعية، تخرجُ في الخامسة صباحًا وتذهب إلى محطة القطار لتساعد في إعادة تأهيلهم. وكانت هذه الأشياء هي بعض ما شكّل طفولتي.

وبالتأكيد لاحظتِ أيضًا كيف تحولَ المسلمون إلى غرباء.

بالطبع، ويزداد هذا في الهند الآن. لقد كنتُ صغيرة جدًا، عام (١٩٤٧ م) كنت في سن الخامسة، كي أدرك الفرق بين الهندوس والمسلمين نظرًا لكوني أعيش في منزل متعدد الثقافات. لكن كان الأمر بمجمله حولنا؛ في الاضطرابات بين المسلمين والهندوس، والتي كانت غير معتادة، حيث سادت حالة من التعايش النزاعي لقرون. ولكن عندما بدأ الأمر في حيِّنا، كان يمكنك سماع «**الله أكبر ثم هارا هارا مهاديفا**» لتدرك أن هناك من يتم قتله، وترى آثار الدماء. لكني كنت صغيرة جدًا، وكان التمييز في بيتي بين الطوائف والأديان وأي شيء ضئيلًا جدًا. فكان طلاب أبي من المسلمين داعمين له جدًا، حتى إنَّهم كانوا يأتون [إليه] في أزياء هندية، ويخبروه بألَّا يجيب على الهاتف ليلًا. وكان أبي نفسه رجلًا غير عنيف، فقد كان يقف فاتحًا بيته الصغير مع رجال مسلمين

ونساءٍ وأطفال داخل البيت ويقول: «لن يصل أحد إليكم، طالما بقيت على قيد الحياة». لم [نكن] نفكر في الاختلاف كثيرًا، فتعلمنا كأطفال أننا متساوون.

حصلتِ على درجتك الجامعية في الهند. فكيف وصل بكِ الأمر أن سافرتِ إلى الولايات المتحدة؟

لقد حصلت على درجتي الجامعية من جامعة كلكتا، وبدأت العمل على رسالتي للماجستير. وكنت في الثامنة عشر من عمري وكنتُ يتيمة الأب، الذي مات عندما كنت في الثالثة عشر من عمري، ولاحظت أنَّني لن أحصل على المرتبة الأولى لأني كنت محررة لمجلة تنتقد الجامعة بشدة. ولذلك، اقترضتُ المال وحجزت تذكرة ذهاب فقط، ومعي ١٨ دولارًا فحسب.

لم أرِد الذهاب إلى بريطانيا لأنَّني سأكون مضطرة للحصول على درجة بكالوريوس أخرى [قبل استكمال دراساتي العليا]، وكنت ساعتها [أيضًا] بعد الاستقلال مباشرة. ولهذا جئتُ إلى الولايات المتحدة. وذهبت إلى كورنيل لأني لم أكن أعرف إلا هارفارد ويال وكورنيل، وظننت أن هارفارد ويال أعلى من مستواي بكثير.

أنتِ اليوم مشهورة بكونك أحد مؤسسي الدراسات ما بعد الكولونيالية، هل هناك أي صلة بين هذا العمل وبين عملك السابق على التفكيك وترجمة دريدا؟

كما تعلم، لم أكن أبدًا جزءًا من زمرة النظرية الفرنسية. ولذلك، وباعتباري دخيلة، كنت أصغر جزء في موضة التفكيك. وأصبح عدم قيامي بإنشاء ارتباطات أمرًا مقبولًا. لكن يعد العمل على ما بعد الكولونيالية نوعًا من التأريخ الذاتي الذي يمر به معظم مهاجري الطبقة الوسطى إلى حاضرة المستعمر – فكحال إدوارد سعيد (تم استشراقي). في عام (١٩٨١ م)، عندما طلبت مني مجلة دراسات يال الفرنسية (Yale French Studies) أنَّ أكتب عن النسوية الفرنسية، وطلبت مجلة البحث الناقد (Critical Inquiry) أنَّ أكتب عن التفكيك؛ سألت نفسي كيف أصبحت حكمًا على الإنتاج الفرنسي؟ ولذا عدت للتفكير بشكل مختلف. وعليه، قمت بالتركيز على ذلك الجزء من التفكيك المتعلق بما يتم إقصاؤه وقت بناء الأنساق [الفكرية]، والذي يعد باعتباره أفضل المداخل، نقدًا ذاتيًا جبارًا، وفيه: [أنت] لا تجرِّم ما تقوم بتفكيكه. بل تَدْخلُه – أتذكر ما قلناه عن ذلك النقد التقاربي؟ – وتجد لحظة يعلّمُك فيها النصُ كيف تقوم بلفّه واستخدامه. وأصبح هذا الأمر جزءًا من طريقتي في العمل، وبشكل واضح، أصبح هناك ارتباط. لقد تغير تفكيرك، وظهر ذلك في عملك.

وهذا ما حدث بالضبط.

أصبحت مقالتك المعنونة بـ «هل يستطيع التابع أن يتكلم؟» الصادرة عام (١٩٨٥ م) أحد النصوص المؤسِّسة في الدراسات ما بعد الكولونيالية. هل يمكنك تفسير معنى كلمة (تابع)؟

إنَّها تشير إلى هؤلاء الذين لا يعطون الأوامر، ويتلقونها فقط. وهي مأخوذة من أنطونيو غرامشي الذي جعلها دارجة. فقد كان ينظر [بهذا التعبير] إلى هؤلاء الذين لم يكونوا من الطبقة العاملة ولا ضحايا للرأسمالية. لقد كان ينظر إلى الناس الواقعين خارج هذا المنطق تمامًا؛ لأنَّه هو نفسه كان من سردينيا الواقعة خارج إيطاليا العليا في الشمال. لكن تعني كلمة (تابع) أيضًا هؤلاء الذين ليس لهم منفذ إلى بِنى المواطنة. أنا أتكلم الآن عن الهند اليوم، حيث القطاع الأكبر من الناخبين هم أميون ريفيون مُعدمون، فيمكنهم التصويت إلَّا أنَّهم لا يمكنهم الدخول إلى بِنى المواطنة. هذا هو التابع إذن.

لقد اكتشفت أن عمة أمي قد شنقت نفسها عام (١٩٢٦ م) في سن السابعة عشر؛ لأنَّها كانت جزءًا من مجموعة مناهضة للإمبريالية. ولمَّا لم تكن قادرة على القتل، قامت بقتل نفسها. ولكنها انتظرت أربعة أيام حتى انتهى حيضها كي لا يظن الناس أنها قتلت نفسها جرّاء حمل غير شرعي. ومن خلال فعلها هذا أرادت أن تقول إن النساء ليسوا مجرد ملكية للرجل.

هل يمكنك تخيل مدى صعوبة أن تكون مضطرًا للانتظار؟ ولذلك، تحدثت من خلال جسدها.

أي: إنَّها قامت بقتل نفسها باعتباره فعلًا سياسيًا؟

نعم، باعتباره فعلًا سياسيًا؛ لأنَّ هذا ما يمكنك فعله عندما لا تكون قادرًا على الاغتيال، فتقتل نفسك [بدلًا عن ذلك]. أشير إلى أنَّني لا أفهم هذه الأشياء [الآن]، لكننا قد قرأنا ديستيوفسكي وعرفنا كفاية عن النضال ضد الإمبريالية في الهند كي نعلم أنها قد حدثت بالفعل. لقد كانت مراهقة، وكان السبب الوحيد الذي يدفع مراهقة من الطبقة الوسطى إلى شنق نفسها هو أن تكون قد حملت بشكل غير شرعي. وتركت رسالة لجدتي، وسمعت أنا القصة من أمي، لكنني لم أشر [في مقالتي] إلى أن المرأة المذكورة فيها هي عمة أمي. لقد تحدَّثت بجسدها، باعتبارها تابعًا تقع خارجةً تمامًا عن هذه البِنى؛ إلَّا أنَّه لم يتم سماعها. فالقول بأن التابع لا يستطيع التكلم يشبه القول بأنه لا يوجد عدل.

أي: إنَّه حتى إن تكلمت، لن يسمعها أحد.

هذا بالفعل هو واقع الجماعات التابعة. لقد تحولت عن طريقتي وأجندتي العلمية عندما بدأت التعرف على معنى التابع. وذهبت إلى داخل الجماعات التابعة في الهند، حيث تقع مدارسي. لقد تم حرمان هؤلاء الناس في فترة جيل الألفية من العمل الذهني من

قبل أسلافي – الطائفة الهندوسية. وأراهم يوميًا لا يُسمح لهم بأن يتكلموا بطرق يمكننا فهمها مباشرة. ويوجد بعض الأشخاص العطوفين على هؤلاء الناس، والمحسنين إليهم إحسانًا من النوع الإقطاعي؛ إلَّا أنَّ هذا لا يغير من الأمر شيئًا.

إنِّي أدّرس هناك منذ ثلاثين عامًا، لكن بدأ الأمر عندما سألت نفسي: هل يجب علىَ أن أكون خبيرة في النظرية الفرنسية؟!

هناك شيء مُبهر في مسيرتك المهنية، وهو أنكِ ارتديتِ قبعتين. فقد اشتهرتِ باعتبارك أستاذة في جامعة كولومبيا، وفي نفس الوقت عدتِ إلى الهند لعقود لتعملي مع الطلبة الأميين في المدارس الريفية. ماذا تفعلين في هذه المدارس؟

أقوم بتدريب المعلمين من خلال تدريس الأطفال. وأريهم، قدر ما أستطيع، كيف يدرّسون المناهج الحكومي. وأحاول كذلك أن أخترع طريقة للتدريس تخلق حدسًا ديمقراطيًا في العادات الذهنية للأطفال الصغار؛ لأنَّه لا فائدة من **تلقينهم**، فلا يجب تعليم الأطفال بتلك الطريقة، حيث إنَّها تشبه الكتابة على الماء؛ ولذلك: يصعب هذا الأمر جدًا، ويعد تحديًا كبيرًا؛ لأنَّ هذه العقول نحن من دمرناها. فلا يملك هؤلاء الناس أي شيء؛ ولذلك أحاول أن أدرّب المعلمين من خلال تدريس الأطفال. أذهب إلى هناك ثماني أو تسع مرات في السنة، لكني أتحدث إليهم هاتفيًا مرتين في الشهر. وبالأمس كان المعلمون يشتكون من مشرفيهم. (إنَّهم جميعًا من نفس المجتمع). فأقول لهم: «اصبروا، انظروا فقط كم المتاعب التي واجهتُها عبر سنين كي أتحدث بطريقة يمكنني من خلالها الوصول إليكم»؛ ولهذا يعد الأمر تحديًا مهمًا جدًّا.

يتكون تعليم الأميين عادةً من تدريس أساسيات القراءة والكتابة، لكنكِ تتحدثين عن أمرٍ أكثر عمقًا. أنتِ تتحدثين عن الديمقراطية وتعليم هؤلاء الأطفال الصغار كيف يسائلون السلطة.

إنَّ معلميَّ أنفسهم من هذا المجتمع، وكان معظمهم من المُعدمين. أعني أنَّ تعليم القراءة والكتابة والحساب ليس أمرًا كبيرًا، وخاصةً أن التعليم المتاح سيئ جدًّا. أنَّا بالطبع أقدر جدًّا القراءة والكتابة والحساب؛ إلَّا أنَّني لم أعرف إلَّا اثنين أو ثلاثة من الأميين في هذا المجتمع، على مدار الثلاثين عامًا الماضية، استطعت التحدث إليهم باعتبارهم مناظرين لي ذهنيًا، حيث إنَّهم لم يتم تدميرهم نتيجة التعليم الفاسد.

يبدو الأمر وكأنكِ تقولين إنَّ التعليم الحقيقي هو بطبيعته عملًا أخلاقيًّا.

تعد الأخلاق بدرجة ما أمرًا لا يمكن تعليمه؛ لأنَّها أكبر من مجرد فعل الأمر الصحيح. وتذكر أنَّ الديمقراطية هي نظام سياسي، وليست بالضرورة نظامًا أخلاقيًا. فترى أيُ نظرةٍ ديمقراطية أساسية [موجهة] نحو هؤلاء القابعين في القاع أننا لا نرسل أولادنا إلى

المدرسة من أجل تعلم القراءة والكتابة فقط، وهذا يعلّمني الكثير عما يجب عليَّ فعله في الأعلى؛ فإنَّني لا أدرِّس جنوب آسيا في جامعة كولومبيا. فأنا لم آتِ إلى هنا كي أقدّم أخبارًا موثوقًا فيها عن موطني. بل إنني دارسة لأوروبا، فأدرِّس مواد إنجليزية وفرنسية وألمانية لطلبة الدكتوراه هؤلاء في نيويورك. وهذا يعد أقرب ما يمكنك الوصول إليه في القمة، وأبعد ما يكون عن (مجرد القراءة والكتابة). ولديّ بعد ذلك الأميون المعدمون فيما تُسمى أكبر ديمقراطية في العالم [الهند]. إنَّها تجربة جيدة كي أرى كيف يمكن للمرء أن يخدم بشكل ديمقراطي في الجانبين [القمة والقاع/كولومبيا والهند].

عندما أنظر إلى مسيرتِكِ المهنية، ينتابني إحساس كبير بالمفارقة. فأنتِ تدرّسين لطلبة الدكتوراه في جامعة كولومبيا، باعتبارك الكاهنة الأكبر في نظرية الأدب، وتقومين بتدريس كتبٍ نظرية جدًّا، مثل (في علم الكتابة) لدريدا. ومع ذلك، أنتِ أيضًا ناشطة في مدارس لتعليم الأميين، والذي يبدو لا علاقة له بعالم النظرية العليا. هل هناك بالفعل أي ارتباط بين العالَمين؟

نعم هناك، إذا كنت تتحدث عن هذا العصر في فرنسا، الذي كان الناس فيه يفكرون عن النظرية أو عن جرامشي في زنزانته. وأنا أيضًا متأثرة بشدة بروزا لوكسمبورج، والتي آمنت بالدولة. ولكني لا أقوم بالفعل بتطبيق النظرية عندما أدرّس في هذه المدارس أو في كولومبيا. فأنا أشبه من ألقَوه في الماء وما زال يتعلم السباحة، حيث أظل خائفة قبل الذهاب إلى الصف في كل مرة. لكن الأمر الذي يأتي بعد ذلك، عندما أفكر في [هذه] التجربة، أجد كيف النظرية تتلون بما تعلمته من التدريس، وما الجزء الذي يتبقى منها، لأن التنظير في حد ذاته ممارسة. وهذا أمر لا يمكننا تدريسه لطلبتنا في القمة.

هل ترين أن للنظرية أثر سياسي فعلي على مشاكل الواقع الحقيقية؟

حسنًا. كنت أدرّس بالأمس ماو [تسي تونغ] في حلقة الدراسات العليا. [لكني] لم أكن أدرّس [كتابه] **الكتاب الأحمر الصغير**. [بل] كنت أدرِّس مادته المعرفية؛ أي: مادته عن فلاحي [مقاطعة] هونان، ثم (عن التناقض)، و(في الممارسة العملية). ومن الصعب جدًّا الحديث عن ماو بشكل جيد في الولايات المتحدة. ولكوني هندية، يعد الأمر كذلك صعبًا أحيانًا؛ لأنَّنا متنافسين. لكن لا مشكلة، فالمثقف موجود لكي يسائل هذه الأفكار الجاهزة. ولكننا كنا ننظر فيمَ فعل في هيجل وكنا ننظر في النص الصيني. فأنا أتعلم الصينية الآن منذ ست أو سبع سنوات، ولكني لست جيدة فيها بالطبع. ولكن كان طالب الدراسات العليا، الذي يقوم بتقديم ورقته، رجلًا إنجليزيًّا نشأ في هونج كونج، ثم بدأ في القيام بدراسات صينية حديثة ناقدة بشدة لوضعه هناك. ولذلك، كنا ننظر سويًا في هذه المقالة غير العادية (عن التناقض). لقد قرأ ماو هيجل عبر لينين وهكذا. ودعا جرامشي نفسه إلى مثقف جديد يكون وظيفته الدائمة هي الإقناع. وهكذا، حتى عندما لا يعلم الشخص أنه يُنظّر فإنه يفعل. فإذا كنت

تنشر وتتحدث إلى مجموعات، فأنت تنظّر. فعلى الحقيقة، من المستحيل التفكير بدون التنظير بطريقة أو بأخرى. وأنا لا أظن أن الشخص يجب أن يصبح مقتنعًا بشدة بتميز النظرية، التي يراقبها، لكني أظن أن هذا ما حدث. فالنظرية قد أصبحت شيئًا مفصولًا عن كل شيء تقريبًا، ولكن في الحقيقة هي ليست كذلك. هي في العالم.

بم تفسرين النقد الشائع القائل بأننا لدينا كل هؤلاء المثقفين الجامعيين الذين يقدّمون أعمالًا نظرية ويظنون أنفسهم راديكاليين؛ إلّا أنَّهم في أبراج عاجية، وليس لهم تأثير على مشاكل الواقع الحقيقية؟ هل لهذا النقد أيُ ثقلٍ في رأيك؟

أنا أنتقدهم كذلك بنفس الطريقة التي يقوم بها الناشطون في الاعتصامات، فأنا أعتقد بشدة أنهم يحتاجون إلى أن نظرة واقعية، ففي الحقيقة، إنَّه ليس مجرد برج عاجي، فأنا أيضًا عضوة في لجنة البرنامج العالمي للقيم التابع للمنتدى الاقتصادي العالمي، وأذهب هناك لأنَّ هذا ميدان عملي، ولا يتم الاستماع لي، لكني أحرص دائمًا على التعليق، وبالطبع زملائي هناك ودودون، فتحتَ مستوى معين، لا يعلم أصفياء النية العالم، ولذلك، أنا أنتقد بشدة هؤلاء الذين يُقدِمون على المساعدة دون أي فكرة عما هو مطلوب منهم كي يستطيعوا الفهم. وفي الأساس، الحق الأول هو الحق في الرفض. وهذا هو ما أخبره لطلابي في القرية. فأقول لهم «أنا عدوة لكم. أنا [الآن] طيبة، وآبائي طيبون، إلا أن جيلين [فقط] لا يقومون بإلغاء آلاف السنين [من الإيذاء]».

لماذا تقولين إنكِ عدوة لهم؟

لأنَّني من الطائفة الهندوسية، أنا الطائفة المتفوقة، نحن من جعلنا هؤلاء الناس منبوذين، ومنعناهم من حقوقهم في العمل الذهني، كي يخدموننا، ويتم تدريبهم على العمل الجسدي، فالقول بأن «أبويَّ صالحين، إذن أنا صالحة»= لا يصح هنا.

وأقوم أيضًا بتوجيه مثل هذه الأسئلة لهم؛ لأنَّني أقوم معهم ببعض أنشطة الزراعة الإيكولوجية، فأجلس معهم تحت شجرة أثأب مع العديد من المزارعين الفقراء المعدمين، وأسألهم «كم عدد الطوائف هنا؟»، ولكونهم يعلمون أني لا أؤمن بالطوائف، لا يعلمون بمَ يردون. (لا أعطيهم إجابات أبدًا، ولا حتى في دروسي في كولومبيا)، وتبرز ساعتها أصوات ضعيفة، وتقول: «اثنتين»، فأقول: «حسنًا، ما هما؟»، فيقول ذلك الشخص: «الأغنياء والفقراء». فأقول: «جيد، تعال هنا، انظر إلي». (بالطبع أنا بالمقارنة بهم غنيةٌ بشكل لا يصدق.) أقول: «لا تنسَ أنِّي غنية وأنك فقير، وأننا لسنا من نفس المجموعة أبدًا». هذا هي النظرة الواقعية التي يجب أن يمتلكها الفرد، بدلًا عن هذا النوع من الإحسان السخيف الذي يعطي فيه الفرد مالًا كثيرًا، لكنه لا يعلّم [الفقير] أبدًا كيف يستخدم المال! فالمال بالنسبة إليّ وإليك مختلف كثيرًا عنه بالنسبة لشخص لم يرَ المال أبدًا. فالنظرة الواقعية هذه ليست ضرورية فقط للمدرّسين اليساريين في الجامعات، بل ضرورية بشكل أوسع بكثير.

لدى سؤال أخير: هناك العديد من الكتابات عن حالة العلوم الإنسانية هذه الأيام. ونسمع كثيرًا أنها في أزمة. هل تظنين أن هذا صحيح؟

نعم. لقد تم ابتذال العلوم الإنسانية. فهي ليست مصدرًا مضمونًا للمال. وكما أخبرت نائب رئيس جامعة تورونتو – عند غلق قسم الأدب المقارن – وقلت: «انظر، نحن نظام الرعاية الصحية للثقافات؛ لا يمكنك القيام بحسابات أخلاقية من خلال تقنيات إدارة المعرفة. يجب أن تترك الروح تنضج بهدوء». هذه هي العلوم الإنسانية. فنحن المدربون الشخصيون للعقل [كالمدربين الشخصيين في الصالات الرياضية]. فكما تعلم، لا يمكنك أن تمرّن جسدك بالجري في مكان ما [فقط] – أي: التعلم السريع والسهل. وبنفس الطريقة، لا يمكنك إنشاء عقول جيدة من خلال تسريع التعلم فقط. ونحن أيضًا تركنا أنفسنا ليتم ابتذالنا. فأنا قد أفنيت حياتي مُحاولَة أن أجعل الناس يدركون أننا يجب أن نزعم أننا مفيدون وألا نذعن للتعريفات التي تجعلنا مفيدين من خلال الرقمنة [فقط]، وكل هذه الأشياء المشابهة. يجب ألا نترك العلوم الإنسانية يتم ابتذالها. فإذا لم تقم بتدريب الروح، لن يستطاع استخدام العالمي / الرقمي بشكل صحيح.

لا يمكنني قول الكثير في هذا الحوار المختصر؛ إلَّا أنَّني آمل في حوار أطول عن هذا الأمر في يوم من الأيام.